هل نحن بحاجة إلى ثقافة عامة لترجمة النصوص المتخصصة؟*

تأليف: نيكولا فروليغر

جامعة باريس سيتي (Paris Cité)

ترجمة: سعيدة كحيل

«نحن نُعلّم الناس كيف يتذكّرون، لكننا لا نعلّمهم أبدًا كيف يتقدّمون.»

(Oscar Wilde [1904]1995: 20)

نحن، في مجال الترجمة، وبوجه أخص في الترجمة التداولية، نحظى بميزة فريدة تتيح لنا المواءمة بين التأمل النظري في قضايا التكوين، والروابط مع الحياة المهنية، والبحث العلمي. وتُعدّ هذه القدرة إحدى مكامن القوة في هذا الحقل، وإن كانت لا تلقى دومًا ما تستحقه من فهم أو تقدير خارج دائرة الاختصاص. لكنها، في الوقت ذاته، مصدر ضعف، إذ إن وتيرة التحولات السريعة في المهن تدفعنا باستمرار، إن لم يكن إلى تحيين معارفنا، على الأقل إلى مراجعة أنماط تفكيرنا وطرائق عملنا. فنحن نعيش في عالمٍ يتّسم بعدم الثبات وبقدر من عدم اليقين، حيث تظلّ التعريفات عرضة للتقادم، وتحمل على الدوام ما يشبه "تاريخ انتهاء الصلاحية"؛ بدءًا من مفهومي

---

* العنوان الأصلي للمقال:

Froeliger Nicolas. A-t-on besoin d'une culture générale pour traduire en langue de spécialité ? In : Équivalences, 50e année-n°1-2, 2023. Traduction technique et technicité de la traduction. pp. 43-69

doi : https://doi.org/10.3406/equiv.2023.1608;

http://www.persee.fr/doc/equiv_0751-9532_2023_num_50_1_1608;

"الترجمة" و"الثقافة العامة"، وسنعود إليهما لاحقًا. ومن هنا تنبع تأملاتٌ متكررة — أصبحت أكثر تداولًا بين مسؤولي التكوين — بشأن تطور مناهجنا الدراسية، كما هو الحال ضمن شبكة الماستر الأوروبي في الترجمة (EMT)، أو في فرنسا من خلال الجمعية الفرنسية للتكوين الجامعي في مهن الترجمة.(AFFUMT)

وخلال السنوات الأخيرة، بدأ يتشكّل نوع من الإجماع في هذا المجال، حول تأكيد مزدوج الاتجاه: فمن جهة، ينبغي التركيز على الكفاءات والمعارف الأساسية — كالقراءة، والكتابة، والحساب — وهي ما يُطلق عليه بشكل متزايد، وبتأثير من التداخل اللغوي، مصطلحات مثل "التمكن من المهارات القرائية (littératie) "و"التمكن العددي (numératie)"، فضلًا عن "التمكن الرقمي" [i] (littératie numérique) الذي يلقى بدوره اهتمامًا متزايدًا (انظر Soubrier, Bigot et Ollivier 2021). ومن جهة أخرى، لا بد من التشديد على المهارات الأكثر تخصّصًا، أي تلك التي تُكسب مهن الترجمة طابعها الفريد بالمقارنة مع المهن المجاورة أو البعيدة عنها. وعليه، فإن التحدّي يتمثل في الإمساك بطرفي الحبل معًا، أي التوفيق بين الأساسيات والخصوصيات.

غير أن الإشكال يكمن في كيفية الانتقال من إحدى هاتين الدعامتين إلى الأخرى: فما هو السبيل إلى ذلك؟ ثم إن المعارف الأساسية لا تُعدّ في ذاتها من قبيل "الثقافة العامة"، إذ إن هذه الأخيرة تحتل مرتبة أعلى في سلّم المعرفة (انظر في هذا السياق نفسه، Fontanet et Froeliger 2023). ويبقى سؤالٌ فرعيّ يُطرح هنا: هل يمكن تمثّل هذه الإشكالية بوصفها مسارًا تدريجيًّا، أم تراها تتخذ شكل تداخلٍ وتراكبٍ بينيّ؟

نجد، في كل الأحوال، حلاً لائقًا لهذه الإشكالية في الصيغة الجديدة من الإطار المرجعي للكفاءات الخاصة ببرنامج الماستر الأوروبي في الترجمة (EMT 2022)[1]. ولماذا هو حلٌّ "مناسب"؟ لأنه يُحيل الكفاءات اللغوية والثقافية إلى "الهوامش"، أو بالأحرى، إلى ما يسبق فعليًّا عناصر التكوين التي ينبغي أن تشكّل جوهر العملية التعليمية. فباعتبارها من المتطلبات القَبلية، فهي تُمنح بذلك مكانة مُشرفة، وتُعدّ ضرورية، ولكنها في الوقت نفسه تُحصر خارج المحور المركزي للتكوين، كما جاء في النص:

تشمل هذه الكفاءة جميع المعارف والقدرات اللسانية، والاجتماعية

اللسانية، والثقافية، والتفاعلية بين الثقافات، سواء كانت عامة أو خاصة بلغة معينة، والتي تُشكّل أساس كفاءة ترجمة رفيعة المستوى. وهي تمثّل المحرك لجميع الكفاءات الأخرى الموصوفة في هذا الإطار المرجعي. (EMT 2022: 3)

ومع ذلك، يُقدَّم بعض التلطيف في العبارة:

لذا من الأساسي والمرغوب فيه أن يعمل الطلبة على تطوير كفاءاتهم في هذه المجالات أيضًا أثناء مسارهم الدراسي. (EMT 2022: 3)

وكذلك خللٌ في التوازن بين ما يندرج ضمن المجال اللساني وما يندرج ضمن المجال الثقافي:

ينبغي أن تشمل هذه الكفاءات القدرة على ما يلي:

- فَهم وظيفة التنوّعات اللسانية (سواء كانت اجتماعية أو جغرافية أو تاريخية)، واستخدام البنى النحوية والمعجمية والتعبيرية الملائمة في لغاتهم العاملة؛
- التعرّف على العناصر والقيم والإحالات الثقافية في النصوص الشفوية أو الكتابية (بما في ذلك الافتراضات المسبقة، والتلميحات، والصور النمطية)، وصياغتها بما يتوافق مع الرموز الثقافية، واتفاقات النوع الاجتماعي، والمعايير البلاغية.(EMT 2022 : 6)

وهذا في حدّ ذاته أمر دالّ؛ إذ تُعدّ الثقافة العامة — مع استبعاد الكفاءات اللسانية من نطاق هذا المقال — ضرورية لا غنى عنها، غير أننا لا نعلم كيف نتعامل معها، ولا كيف نقاربها، فضلًا عن كيفية تدريسها. ومع ذلك، تقترح **إيزابال كولمبا** Isabelle Collombat (2006) بعض السبل في هذا الاتجاه، مستلهمةً أعمال **دي ليل ولوديرار** Lederer (1997) Delisle (2003) على وجه الخصوص.

ولِمَ ذلك؟ ربّما، في المقام الأول، لأننا نعجز عن تحديد مفهومها بدقة: فهي، كحال الذكاء، نظنّ أننا قادرون على التعرّف عليها لدى الآخرين، لكننا نعجز عن صياغة تعريف إيجابي لها — وبالأخص تعريفٍ ينسجم مع مقتضيات الزمن الراهن. أفنتعزّى إذن بالقول إن علم اللاهوت، منذ آلاف السنين، لا ينتهج في الأمر غير هذا النهج؟ بل يكاد الأمر لا يختلف كثيرًا...

إنّنا نتناول هذا الموضوع اليوم لأن بعض القضايا والمفاهيم — بما في ذلك في مجال دراسات الترجمة — يشيخ ويتقادم، بينما تظل قضايا أخرى راهنة، وإنْ كانت تتطلّب مقاربةً مغايرة تتماشى مع تبدّل الأزمنة. وهذا ما يثير مشكلتين مترابطتين: إحداهما تتعلق بالراهنية، والأخرى بالتطور الذي سبق التطرق إليه في مهن الترجمة فمن جهة، هل رؤية صاحب هذا المقال لمفهوم "الثقافة العامة" ليست، في جوهرها، انعكاسًا لرؤية فرد نشأ لا في الألفية السابقة فحسب، بل في النصف الثاني من القرن العشرين؟ — إذا سلمنا أصلًا بأنها ليست رؤية شخصية صِرف، خاصة به؟ ومن جهة أخرى، ما مدى صلة هذا المفهوم وإمكان إدراجه في بنية ترجمة النصوص المتخصصة؟ لقد صيغ تعريف هذا المصطلح، خلال القرن العشرين، على نحو كميّ: فالثقافة العامة كانت تعني «ما لا يجوز جهله» (Tavoillot 2007 :17)، أي — في جوهرها — ذلك القدر من المعارف الضروري لمسار المجتمع وعمله ضمن إطار مواطَني، على نحوٍ ينهل من مشروع الموسوعيين (*ibid.*:15) أمّا في الربع الأول من القرن الحادي والعشرين، فلا مناص من الإقرار بأن ما يعتبره بعض الناس من المعارف الضرورية يُعدّ مجهولًا تمامًا لدى كثير من نظرائهم والعكس صحيح.

حتى في مجال دراسات الترجمة ذاته، هل ثقافتنا العامة بشأن الترجمة — تلك التي بُنيت وصيغت عبر قراءات متعددة، ونقاشات، ومداخلات علمية، وندوات امتدت لعقود — هي ذاتها ثقافة زملائنا في الحقل؟ هذا السؤال يكشف أحد المفارقات التي طبعت هذا المجال حتى عقدين من الزمن: إذ كان بالإمكان، آنذاك، من خلال مقارنة

الاتجاهات الوطنية المختلفة، التماس نوعٍ من التداخل أو التنافر أو الانغلاق الثقافي، وذلك في آنٍ معًا، بما يحمله من دلالة بالغة. ونكتفي هنا بمثالين من بين مئات الأمثلة:

- بالنسبة إلى عدد من باحثي الترجمة — وغالبًا ما يكونون من المتعاملين باللّغة الإنجليزية — فقد تفتّتت وحدة دراسات الترجمة في أوائل تسعينيات القرن الماضي، حين حدثت قطيعة بين أنصار **مونا بايكر** (Mona Baker) **وجدعون توري**(Gideon Toury)، وهي قطيعة لم يُدركها كثير من الباحثين الفرانكوفونيين، ولم يعرفوا حتّى يوجين نيدا (Eugene Nida) الذي يُعدّ لدى البعض، مؤسِّس دراسات الترجمة المعاصرة أو أحد أقطابها المركزية؛
- أما بالنسبة إلى باحثين فرانكوفونيين آخرين، والذين يشتغلون في في مجال الأدب خاصّة، فإن أساليب الترجمة **لڤينيه وداربلنيه** Vinayو Darbelnet لا تزال إلى اليوم تمثّل مرجعية أساسية في التحليل الترجمي. في حين يرى غيرهم، خاصة ممّن ينتمون إلى الحقل التداولي، أن هذه المقاربة التقابلية قد تجاوزها الزمن منذ ستينيات القرن الماضي. وقد يُضفي هذا التباين شيئًا من الحيوية في مناقشات لجان الدكتوراه، على سبيل المثال...

وعلى نحوٍ أشمل، يُطرح التساؤل الآتي : هل تُعدّ «الثقافة العامة» مرادفًا لـ«الثقافة المشتركة»، أم هي مفهوم أضيق يدخل ضمنها Tavaillot 2007: 15) أم أنّها، بالأحرى، مصطلحٌ يقترن بـ"الذكاء المتبلور (intelligence cristallisée)"، والذي عرّفه هانت" (1995) Hunt بأنه: «القدرة على توظيف طرائق حلّ المشكلات المكتسبة سابقًا — وغالبًا ما تكون ذات طابع ثقافي — في معالجة مشكلة راهنة» (نقلاً عن Collombat 2006: 3) ولا شك أن كلًّا من هذه البُنى الذهنية تحوز على قدر من الجمال النظري، غير أنّ أياً منها لا يمدّنا، بشكل مباشر، بأداة تساعدنا على الترجمة بصورة أفضل. وعلى أطراف هذا الأفق النظري، قد يلوح سؤالٌ ليس علميًا هذه المرة، بل سياسي الطابع: إذا بات الحديث عن "الثقافة العامة" مسألة إشكالية، أفلا يكون

ذلك لأن مجتمعاتنا لم تعد قادرة على بناء شكلٍ من أشكال الإجماع؟

1. لغات التخصص والثقافة العامة: كيف نُعرّف إحداهما في ضوء الأخرى؟

نظرًا لغياب اليقين بشأن ما تعنيه على وجه الدقة كلّ من الثقافة العامة والترجمة، فإننا نعتمد، في هذا المقال، مقاربة غير مباشرة. ففي ظل عدم قدرتنا على تعريف الثقافة العامة تعريفًا مضبوطًا، لدينا تصوّر أدقّ عمّا تشير إليه مجالات التخصص، بوسائل التوصيف المرتبطة بها، وهي اللغات المتخصصة، والتي تُفهم على أنها: "تعبير عام يُستخدم للدلالة على اللغات الموظَّفة في مواقف تواصلية \[...] تنطوي على نقل معلومة تنتمي إلى مجال خبرة معيّن"(Galisson et Coste 1976: 511). وتُعد التقنية أيضًا جزءًا لا يتجزأ من هذا الكلّ. ووفق هذا التصوّر، يكون لمصطلح culture générale نقيضان هما: ignorance وlangues de spécialité.

وهنا يمكن لتعريف **بيير لو را** Pierre Lerat، للّغات المتخصصة أن يعيدنا إلى قدر من الرشد النظري؛ إذ يقول: " ليست اللغات المتخصصة سوى استعمالات متخصصة للغات الطبيعية" (Lerat 1997: 1). فلا تعارض بين الاثنين، بل تكامل وتداخل، تحددهما طبيعة التفاعل بين الواجهات ومواقع التمركز المختلفة. ويبقى السؤال مطروحًا: ما طبيعة العلاقة، وما شكل التداخل أو التراكب، في الحالة الخاصة بالترجمة؟

ومهما يكن من أمر، فإننا، بالانطلاق من المجالات المتخصصة، نجد أنفسنا على أرض صلبة؛ فنحن نُحسن التعامل مع هذا الحقل: نُجيد البحث والتوثيق، وتحديد حدود المجال، وجمع المتن اللغوي، واستنطاقه، واكتساب فهم بنوي له، واستخلاص المصطلحات والمتلازمات اللفظية، وصياغة الإشكالية، ثم نعمل على الترجمة. ومن هنا تنشأ إغراءات عدّة: أليس كلُّ ذلك، في جوهره، كافيًا لتقديم خدمة ترجمة بمستوى مهنيّ رفيع؟ غير أنّ الشكّ يساورنا... والتقنيات الرقمية، من مدوّنات لغوية، ومكشافات سياقية[iii]، وترجمة آلية، وبيانات ضخمة... تدفعنا وتُطوّقنا في آنٍ معًا. لذا، وجب أن نعيد صياغة السؤال: هل ينبغي أن نتخلى عن حلم الموسوعيين؟ أم أننا مدعوون إلى تحديث تعريفاتنا؟ أفلا نزال، بعد كل هذا، بحاجة إلى ثقافة عامة

لنترجم في لغة التخصص؟

ومع ذلك، ما زلنا، في هذه المرحلة، نُعاني من غياب تعريف إجرائي لمفهوم الثقافة العامة .ولعلّه ينبغي أن نضع تعريفًا يمكن أن يَصِفه **غاتاري وديلوز** Guattari et Deleuze بأنه "غير دقيق ومنضبط في آنٍ معًا":

> إشكالية الكتابة: من الضروري تمامًا استخدام عبارات غير دقيقة للدلالة على أمرٍ ما بدقّة. وليس ذلك لأن علينا المرور من خلالها، ولا لأننا لا نستطيع التعبير إلا من خلال التقريب: فـ"اللادقة" ليست بحالٍ من الأحوال نوعًا من التقريب، بل هي، على العكس، تعني العبور الدقيق لما يحدث بالفعل (Deleuze et Guattari 1980: 31).

وفي هذا السياق بالذات، نحن بحاجة إلى تعريفٍ عمليّ يكون صالحًا لنا وللمخاطَبين الذين نعمل معهم، داخل السياق الذي ننتمي إليه. ولنضرب صفحًا، إذن، عن التعريفات الجاهزة، ولنُنشئ هذا التعريف بوسائلنا الخاصة، مع إسناد وظيفة واضحة له، هي أن يُجيب عن السؤال الآتي: ما الذي لا تُمكنني المعارف الأساسية والمتخصصة، بمفردها، من القيام به؟ وكلنا أمل في أن يُفضي بنا هذا التعريف الذاتي — وإن اتّسم بطابع خاص أو شخصي — إلى نوعٍ من الإجماع، أو على الأقل إلى إثارة نقاش يساهم في تطوير التفكير .وفي ضوء هذا السياق، قد نميل إلى القول إن "الثقافة" توازي رؤية مستنيرة للعالم أو لمجال معيّن — على أن يُفهم وصف "مستنيرة" هنا بأنه يعني ما يتجاوز التصورات المسبقة والأفكار الجاهزة[2]. أما صفة "عامة"، فإنها توّسع من نطاق هذه الرؤية لتشمل جماعة بشرية — مهما اختلفت حدودها وتبدّلت — لكنها، في كل الأحوال، تتجاوز الحقول المتخصصة، "عامّة"، لأنها تتيح إمكانات التعميم؛ وهو معنى دينامي ينبغي إضفاؤه على هذا المفهوم. نحن إذن نتحدث عن تلك العناصر التي تمنح التجربة عمقًا أمام سيل البيانات، والمثيرات، والانطباعات المباشرة .عن تلك التي تتيح لنا أن نتعامل مع هذا السيل لا بردّ الفعل، بل بالمسافة اللازمة للفهم، والقدرة على التوجيه، والفعل عن دراية. وماذا عن المدخلات؟ إنها ما تلقيناه خلال مراحل التعليم الابتدائي والثانوي، أو ما اكتسبناه من

محيطنا — غالبًا دون أن نُدرك أننا تعلمناه؛ وما نكتسبه يومًا بعد يوم، بفضل وسائل الإعلام والتواصل. كل ذلك يُشكّل رصيدًا من المعطيات، وهو المكوّن الأول. وقد تعلمنا أيضًا كيف نعالج هذا الرصيد عبر مناهج وممارسات — وذلك هو المكوّن الثاني. ويُفضي بنا هذا الأمر إلى وسائط توجيهية تساعدنا على التمركز واتخاذ الموقف: قيم، ومبادئ، وأفكار تتجاوز الفردانية — وهي المكوّن الثالث. صحيح أن هذا التعريف غير مكتمل، وهو تعريف تجريبي في جوهره، إلا أنه يمتلك فضيلة تمكيننا من طرح الإشكالية بوضوح. وانطلاقًا من ذلك، نقترح المضيّ في هذا المسار التجريبي، على أساس أن الثقافة العامّة التي يحتاج إليها مترجمو اليوم والغد — في المجالات التقنية أو المتخصصة — تنتمي بدرجة أكبر إلى منطق التدفق لا إلى منطق التخزين؛ وأنها تستدعي قدرة على نسيانٍ معتدل ومدروس؛ وأنها، فوق ذلك، تمثل دعوة إلى إعادة النظر في النموذج المفاهيمي الذي يُعيننا على الترجمة (من زاوية مهنية)، وعلى التفكير في الترجمة (من زاوية نظرية)، وعلى تصميم التكوين في مهن الترجمة (من زاوية بيداغوجية ومهنية). فالإشكال، في جوهره، إدراكي/معرفي بالدرجة الأولى، وهو ما يستدعي السعي إلى بناء نماذج فكرية تناسب مترجمي الحاضر والمستقبل.

2. من التخزين إلى التدفق

في التعريف الكلاسيكي الذي يجعل من الثقافة العامة نقيضًا للجهل، لطالما جرى التفكير في هذه الثقافة من منظور المخزون: فهي، لنقلها مجددًا، كمية المعارف الضرورية لسير مجتمعٍ من المواطنين، على منوال مشروع الموسوعيين (Tavoillot 2007: 15) غير أن هذا التعريف ينطوي رغم ذلك على أثر عتبة أو انتقال:

> "يُقال إن الفرد يمتلك ثقافة عامة عندما يبدأ في معرفة كيف يهتدي في عالم المعرفة، عندما يصبح قادرًا على إدراك ما يجهله، وعندما يغدو سيدًا على عملية تعلّمه". (Tavoillot 2007: 17)

ومن ثم، يكون هناك انتقالٌ من البُعد الكميّ إلى البُعد النوعي، مصحوبًا بتحقيق درجة من الاستقلالية، وإمكانية التعلّم الذاتي. ويمكننا، في هذا السياق، أن

نغامر باستخدام استعارة من المجال النووي — لكن هل سيظلّ هذا المجاز مفهومًا لدى القرّاء الأصغر سنًّا؟ وهل سيُعدّ سياسيًّا مقبولًا؟ — إذ يُفترض، ما إن يتمّ تجاوز الكتلة الحرجة من المعارف، أن تصبح عملية الاكتساب قادرة على تغذية ذاتها بنفسها.

لا شكّ في ذلك. ولكن، هل لا يزال الأمر كذلك منذ أن غيّر الإنترنت جذريًا طرائقنا في الوصول إلى المعلومة؟ أليس جوهر الإشكال اليوم يتعلّق أوّلًا بقضية *النفاذ إلى المعرفة*، وهو ما قد يجعل الفروق في حجم "المخزون" أقلّ أهمية؟ هذا ما نأمل أن نُبيّنه من خلال استبيان — لا يزال، في صيغته الحالية، غير مكتمل، لأنه صيغ، بالتحديد، بمنطق "المخزون" — وقد أطلقناه في إطار مشروع Marie Curie/Proteus ، بالشراكة بين Université Paris Cité جامعة باريس سيتي وجامعة Maribor في سلوفينيا، تحت عنوان : الكفاءة الثقافية لجيل Z في العصر الرقمي بين سلوفينيا وفرنسا Cultural competence of generation Z in the digital era in Slovenia and France يتعلق الأمر بطرح نحو عشرين سؤالًا، ذات طابع معلوماتيّ في الغالب، حول معارف تتّصل بالثقافة العامة، على ثلاث فئات من المشاركين :طلبة في بداية دراستهم الجامعية في مجال اللغات؛ وطلبة في السنة الأولى من ماستر الترجمة؛ ومهنيين يعملون حاليًا في قطاع الترجمة. وقد تمّ انتقاء مواضيع هذه الأسئلة من بين القضايا التي كانت قد نالت تغطية إعلامية وصحفية واسعة خلال الأشهر السابقة لإطلاق الاستبيان. لكن، في لحظة كتابة هذه السطور، لا يزال الاستبيان حديثًا جدًا بحيث لا يمكن تقديم نتائجه بعد. ولذلك، لا يسعنا إلا طرح بعض الفرضيات— وهي فرضيات يتّفق عليها كل أعضاء الفريق الذي صاغ هذا الاستبيان، لاسيما فيما يخصّ *التحيّزات* المحتملة.

فما هو، على الأرجح، التحيّز الرئيس في مثل هذا النوع من الاستبيان؟ ببساطة، يتمثّل في أن الغالبية العظمى من الأسئلة المطروحة التي يمكن العثور على أجوبتها بسهولة من خلال بحث بسيط على الإنترنت. ويُشار هنا إلى أن الاستبيان، بالنسبة للطلبة، يُطبّق دون السماح باستخدام الحواسيب أو الإنترنت. ومع ذلك، يبدو جليًا أن الطلبة — وهو أمر تمليه روح عصرهم — يُفوّضون ذاكرتهم إلى الخارج، أي

يُسندون وظيفة التذكّر إلى أدوات خارجية. لكن، هل يُعدّ هذا أمرًا جديدًا؟ ألا يجدر بنا التذكير بأن الكتابة نفسها قد اختُرعت، قبل نحو 4500 عام، لهذا السبب عينه، ونتج عنها الأثر نفسه؟ وعليه، يمكننا القول إننا إزاء ذروة راهنةٍ لاتجاه يمتدّ عبر آلاف السنين.

ما الذي تغيّر مع ما نُطلق عليه — كما ورد في عنوان مشروعنا البحثي المشترك مع الزملاء السلوفينيين — جيل الألفية(génération Y) ؟ الجواب: النفاذ الفوري وضخامة الكمّ. ففي يومنا هذا، لم يعد المهم أن "تعرف"، بقدر ما صار من الضروري أن "تعرف كيف تبحث." وهذا ما ينطوي، في المقابل، على خطر كبير: ألا تعرف شيئًا على الإطلاق. وذاك هو العالم الذي وصفه Nicolas Carr في كتاب أثار جدلًا واسعًا قبل نحو عقد: The Shallows – What the Internet Is Doing to Our Brains (Carr 2011) وإنْ كان **أومبارتو إيكو** Umberto Eco (1984) سيميل إلى تصنيف هذا النوع من الكتب ضمن فئة "الكارثيين" (Apocalyptiques) — أولئك الذين دأبوا، على مرّ العصور، على التنبّؤ بانهيار كل شيء.

وليس الإنترنت وحده المسؤول، بطبيعة الحال، عن هذا التحوّل من الثابت إلى المتغيّر، أو من الاستقرار إلى الدينامية. ففي المجال الزراعي أيضًا، لم يعد الفلاّحون — في كثير من الأحيان — يحتفظون بالبذور لإعادة استخدامها كل عام، بوصفهم "مالكيها"، بل صارت تُوزَّع عليهم من قِبل شركات البذور التي تسلّمها سنةً بعد سنة، بعد أن تُعالَج لتصبح غير قابلة للتكاثر الذاتي. وبالمثل في مجال المعلوماتية: فقد كان المرء في السابق يشتري البرمجيات، ويظلّ مالكًا لها — نظريًا — مدى الحياة؛ أمّا اليوم، فصار الناس يشترون رخص استخدام تنتهي صلاحيتها بعد فترة زمنية معيّنة. ما يُشترى الآن ليس المنتج في ذاته، بل حقوق استخدام مؤقّتة، أو حقوق نفاذ إلى المحتوى (انظر: Rifkin 2000).

وفي الترجمة أيضًا، انتقلَت الكفاءة القابلة للتثمين، من حيث علاقتها بالثقافة العامة، ممّا نعرفه — أي ما هو مخزَّن في ذاكرتنا — إلى قدرتنا على تعبئة المعارف أينما وُجدت. وعليه، فإن السؤال الحقيقي لا يكمن في جوهر الثقافة العامة ذاتها، بل فيما يليها، من حيث إنها مفترَض أن تخدم غرضًا عمليًّا. أما هذا السؤال، في تقديرنا،

فهو: كيف نُدير تفكيرنا؟

ومن هنا تبرز إحدى السبل الممكنة في مجال التكوين وهي: لكي نتمكّن من الربط بين المعارف الأساسية والكفاءات الأكثر تخصّصًا، لا بدّ من التركيز على مهارات النفاذ إلى المعلومة وتقييم مدى ملاءمتها. بعبارة أخرى، ينبغي أن نتعلّم — مثلًا — كيفية استنطاق أدوات مثل ChatGPT...

إن هذا التحوّل من الثابت إلى المتحوّل يتيح لنا، في واقع الأمر، عددًا من الفرص التي ينبغي اغتنامها. فمن منظور تكويني مهني، يُصبح من الجليّ أن مهارات البحث والتحقّق من المعلومات تشكّل ميزةً تنافسية حقيقية عند التقدّم إلى سوق العمل. وقد كنّا نُدرك ذلك بشكل حدسي، إلا أنّه بات اليوم مؤكدًا بفضل مشروع أوروبي أُنجز في إطار شبكة الماستر الأوروبي في الترجمة (EMT)، وهو مشروع UPSKILLS[3]، الذي يهدف — بحسب تعريفه الإنجليزي — إلى:

> «تحديد ومعالجة الثغرات والتفاوت في المهارات لدى طلبة اللسانيات واللغات، وذلك من خلال تطوير مكوّن جديد ضمن المنهاج الدراسي، مرفق بمواد داعمة، ليُدمَج ضمن البرامج التعليمية القائمة.» (https://upskillsproject.eu/, page d'accueil)

ما هي أبرز الاحتياجات التي تَبيَّنت من تحليل عروض العمل في قطاعنا، في ضوء هذا المشروع؟ إنها تتمثّل في: التفكير النقدي، وحلّ المشكلات، والقدرة على التكيّف، والمهارة في الربط بين المعارف الإنسانية والتقنيات المعلوماتية — وهي ما سمّاه بعضهم «زواج التناظري والرقمي» (Froeliger 2013). ويُضيف موقع Slator [4] بدوره، أن من بين الوظائف الناشئة في هذا المجال: تحليل البيانات (معالجتها وتأويلها)، والتقنيات (لغات البرمجة، التعلّم الآلي، أدوات الترجمة بمساعدة الحاسوب...)، وكذلك مجالات التواصل والتنظيم. وكلّ هذا ينسجم تمامًا، كما نعود ونؤكّد، مع الإطار المرجعي للكفاءات الخاص بشبكة EMT (2022).

إذا نظرنا إلى توظيف الثقافة العامة من زاوية دينامية، فإن الأمر يغدو في

جوهره مسألة إدراكية معرفية: المعادلة تميل إلى زيادة في التدفقات — أي في مهارات النفاذ إلى المعرفة ووضعها في منظورها المناسب — مقابل تقليل في المخزون — أي المعارف المكتسبة سلفًا؛ وإنْ كان لا بد من شيء من المخزون أيضًا. ومن هنا يتبلور السؤال الحقيقي: كيف نُدير هذا "القليل" من المعارف التي نملكها؟

3. كيف يعمل ذلك على المستوى المعرفي؟

يغدو من المغري، إذن، أن نُمعن في هذا المنطق ونمضي به خطوةً أبعد: أفلا يكون النسيان، بدرجة ما، هو ما يُعيننا على إدارة معارفنا على نحوٍ أفضل؟ وهذا يعيدنا إلى تعريف — وإنْ بدا سطحيًا بعض الشيء، ويُنسب خطأً إلى إدوارد إبريو Édouard Herriot — لا للثقافة العامة، بل للثقافة بمعناها العام؛ تعريف قد يُلقي مع ذلك ضوءًا كاشفًا: «الثقافة هي ما يبقى عندما نكون قد نسينا كل شيء.» نعم، قد يكون من المفيد أن يسافر المرء خفيفًا وهو يترجم، إن أراد أن يذهب بعيدًا. تلك هي — إن شئنا — أهمية الكسل الواعي لمن يريد أن يُعمّر طويلًا في هذا المجال (انظر Froeliger 2016).

من خلال هذه الإشكالية الضبابية المرتبطة بمفهوم الثقافة العامة، نشهد، في حقل دراسات الترجمة، عودةً — ربّما — إلى نموذج "الصندوق الأسود"؛ إذ لا نعلم على وجه الدقة ما الذي يحدث داخله، لكن بوسعنا تمييز المدخل والمخرج فحسب. وفي هذا السياق، حتى وإنْ بقينا ضمن نوعٍ من الغموض إزاء ما قد تكون عليه الثقافة العامة، فإننا نستطيع تحديد ما الذي يمكن أن تنفعنا فيه. وفي الحالة الراهنة، يتمثل الرهان في طرح إشكالية ترجميّة، وفي تمييز خلفيةٍ يمكن، انطلاقًا منها، رسمُ استراتيجية واضحة. وإليك مثالًا انطلاقًا من نصّ حديث، وإنْ كان بسيطًا ومتداولًا، مثل كثير مما نصادفه في الحياة المهنية:

> يُعدّ إدمان الهواتف الذكية أو الإفراط أو سوء استخدامها، أكثر أنماط استخدام الهواتف المحمولة انفلاتا وإثارة لدى الطلاب في جميع أنحاء العالم. ويُصنَّف هذا الإدمان أو الإفراط أو سوء الاستخدام، بين

أوساط الطلبة، كنوع جديد من الاضطرابات الصحية، وهو ما يدفع صنّاع السياسات الصحية إلى التفكير في هذه الإشكالية متسارعة الانتشار على الصعيد العالمي. وقبل أن يتزايد انتشار استخدام الهواتف الذكية، ربطتْ دراسة أُجريت في المملكة العربية السعودية بين استخدام الهواتف المحمولة وعدد من الأضرار الصحية، من بينها اضطرابات النوم (بنسبة 4. %)، والتوتّر (3.9%)، والتعب (3%)، والدوخة (2.4%). (Sana Ahmed, addictions comportementales (Smartphone addiction/overuse/misuse..., mémoire de recherche documentaire, terminologie et traduction, master ILTS, 2021-22)

هذا نصّ يصعب فهمه ثم ترجمته دون امتلاك عدد من المتطلبات الإدراكية القبلية، التي تتيح لنا تحديد بعض الإشكالات؛

- أولها مسألة التكرار، التي تؤدي في الأصل إلى توليد عبارات متطابقة وفارغة المعنى، كما في القول: "إدمان الهواتف الذكية/إساءة استخدامها/سوء استعمالها هو أكثر أنماط استخدام الهواتف المحمولة انفلاتًا وإثارة لدى الطلاب في جميع أنحاء العالم"، وكذلك في: "بين الطلاب، يُعدّ إدمان الهواتف الذكية/إساءة استخدامها/سوء استعمالها شكلًا جديدًا من الاضطرابات الصحية، وهو يدفع الآن صنّاع السياسات الصحية إلى التفكير في هذه الإشكالية المتصاعدة على مستوى العالم"، وأيضًا في: "قبل أن ينتشر استخدام الهواتف الذكية على نطاق أوسع، ربطت دراسة في المملكة العربية السعودية بين استخدام الهواتف المحمولة وعدد من المخاطر الصحية"،

- ثانيًا، في مسألة الارتباك التركيبي، الذي يُعدّ — في نظرنا — علامةً على ذلك البُعد النقدي الضروري الذي ينبغي أن يتخذه المترجم إزاء صياغات ركيكة كهذه، إذ يتعيّن عليه إعادة تشكيلها للوصول إلى ناتج قابل للفهم

والقراءة، كما في: "نوع مثير من استخدام الهاتف المحمول"، أو "إدمان الهواتف الذكية"، أو "التفكير بشأن"، أو "قبل أن يُصبح استخدام الهواتف الذكية أكثر انتشارًا"، أو "استخدام الهواتف المحمولة"،

- ثالثًا، في غموض المصطلحات، كما في عبارة: "إدمان الهواتف الذكية/إساءة استخدامها/سوء استعمالها"؛ فهل نحن بصدد مصطلح واحد له ثلاث صيغ، أم ثلاث ظواهر متميّزة؟ ثم ما المقصود تحديدًا بـ"صنّاع السياسات الصحية"؟

- وأخيرًا، هناك خلل واضح في التسلسل الزمني داخل النص، كما في: "هو... هو شكل جديد من..."، ثم "وهو الآن يُرغم..."، متبوعًا بـ"الظاهرة المتصاعدة بسرعة..."، ثم "قبل أن يُصبح استخدام الهواتف الذكية أكثر شيوعًا...". هذا التراكم الزمني غير المنضبط يؤدي إلى اضطراب في الفهم، ويجعل من الضروري على المترجم أن يُعيد تنظيم البنية الزمنية للنص بما يضمن ترابط الأحداث من حيث المنطق والمعنى. فالنص ينتقل بشكل عشوائي من الحاضر إلى الماضي فإلى المستقبل دون أية علامات دالّة أو تدرج زمني واضح، وهو ما يتطلّب تدخلًا معرفيًّا دقيقًا لضبط الإطار الزمني للنص وتحقيق اتّساقه الدلالي.

وعلى نحو أوسع، لا بد من التمكن من تمييز نوع النص وجنسه؛ إذ إننا هنا بإزاء مقال علمي موجّه إلى مختصين.

وعلى نحو أوسع، لا بد من التمكن من تمييز نوع النص وجنسه؛ إذ إننا هنا بإزاء مقال علمي موجّه إلى مختصين. ويتطلب الأمر، في جوهره، القدرة على تمثّل الإشكالية بما يتجاوز مجرد العناصر اللفظية السطحية، للوصول إلى جعل هذا المقتطف "ينطق" بطريقة مفهومة في الترجمة. وهذا — في نظرنا — هو المجال الذي يظهر فيه إسهام ما نُسمّيه الثقافة العامة. فالمعتاد، في مثل هذه الحالات، هو التمييز بين ثلاثة مستويات من المعرفة: المعرفي اللساني، والمعرفي الموسوعي، والمعرفي السياقي.

وفي هذا السياق المفاهيمي، يُعدّ البعد الموسوعي هو ما يمنحنا النفاذ إلى

المستوى السياقي. ومن ثمّ، نطلب من هذا الجهاز المعرفي أن يُزوّدنا بالوسائل الآتية:

- أن نفهم (وهذا أمر لا ينبغي أن نغفله...)؛
- أن نُميّز نوع النص وجنسه؛
- أن نرسم تسلسله الزمني؛
- وأن نُنشئ آليات التمثيل، سواء كانت لسانية أو بلاغية.

ينبغي أن يندمج هذا الجهاز المعرفي مع المعرفة المتخصصة للمجال المعني، وهي معرفة متاحة — كما رأينا — من خلال تجميع مدوّنة نصيّة يُستخرج منها مصطلحٌ معين وتراكيب نمطية، مما يتيح إعادة تمثّل المجال بشكلٍ منظم، أي على هيئة بنية شجرية ترتبط فيها المعارف بروابط منطقية متعددة. وعند نقطة الالتقاء بين المعرفة العامة والمعرفة المتخصصة، قد يُصاغ الناتج بالصورة الآتية:

" بات إدمان الهواتف الذكية، لدى عدد كبير من الطلاب، بكل ما يصاحبه من استخدام قهري أو مفرط أو غير مشروع، يتخذ منحًى مقلقًا هو من أكثر الأشكال تطرفًا، كما هو الحال في مختلف أرجاء العالم. وداخل هذه الفئة من السكان، يُعدّ هذا الشكل من الإدمان اضطرابًا صحيًا جديدًا، يدفع السلطات الصحية إلى التفكير في سبل الاستجابة السريعة لهذه الإشكالية المتفاقمة." [ينبغي اعتماد صيغة الماضي التام فيما يلي من النص].

غير أن معارفنا المتخصصة وحدها لا تكفي لبلوغ هذا المستوى. وينطبق الأمر ذاته على ترجمة هذه الجملة التي تبدو، في ظاهرها، غير معقدة لكنها تخفي صعوبات دلالية وزمنية دقيقة:

"تقول Apple إن هاتف iPhone XR هو أكثر أجهزتها مبيعًا منذ إطلاقه." (المصدر: CENT Deals, 28/11/2018).

وهنا أيضًا، أين تكمن الإشكاليات؟ في زمن present perfect بطبيعة الحال... ولكن ما هو أبعد من ذلك، أن علينا أن نفهم أن جهاز iPhone XR يندرج ضمن سلسلة

من المنتجات. وبما أن هناك مقارنة واردة في العبارة (its top-selling iPhone...)، فلا بد من تحديد كيفية بناء هذه المقارنة، وهو أمر لا يوضحه النص صراحة، بل يلمّح إليه تلميحًا غامضًا من خلال عبارة since launch. وبما أن المقارنة لا تكون إلا بين ما هو قابل للمقارنة، فعلينا أن نستنتج — مع ضرورة التحقق من ذلك في السياق — أن المقصود هو مقارنة مبيعات الأجهزة خلال فترات زمنية متكافئة تبدأ من تاريخ إطلاق كل نسخة من نسخ سلسلة iPhone. وهذا التحليل قد يقودنا إلى واحدة من ثلاث صيغ ممكنة للترجمة:

تُشير Apple إلى أن هاتف iPhone XR يُباع بوتيرة أسرع من جميع أسلافه؛

تُعلن Apple أن iPhone XR يحقّق مبيعات أسرع مقارنة بكل الإصدارات السابقة، وذلك ضمن فترة زمنية مماثلة؛

تُفيد Apple، بحسب قولها، بأن أياً من النماذج السابقة لـiPhone XR لم يُسجّل هذا المستوى من السرعة في المبيعات.

وعودةً إلى اقتباسنا السابق عن(Pierre Lerat (op. cit. ، يمكننا صياغة خلاصة مؤقتة مفادها: لا وجود لتعارض حقيقي بين الثقافة العامّة والمعارف المتخصصة، ولا حتى بين الثقافة العامّة والجهل. لكنّ الضرورة تقتضي، في المقابل، أن نُحسن نسيان ما نعرفه، حتى نكون قادرين لاحقًا على استدعاء هذا المخزون المعرفي الكامن عند الحاجة. ويبقى التحدي الأكبر: كيف نُنجز هذه العملية؟ وكيف نضبط آلياتها؟

4. ما النماذج وما الأدوات التي قد تعيننا؟

لقد سعت الترجمة، عبر آلاف السنين وحتى يومنا هذا، إلى تعريف نفسها عبر الاستعانة بالاستعارات. ويمكننا، في هذه المرحلة، أن نستعير واحدة من عالم الشطرنج: ففي ترجمة النصوص التقنية، يمكن أن نتصوّر أن المربّعات البيضاء تمثل الجوانب التقنية البحتة، بما فيها من مصطلحات وتراكيب متخصّصة؛ بينما تمثل المربّعات السوداء ما يتصل بالثقافة العامة واللغة بوجه عام. وتكمن فائدة هذا النموذج في أنه، إذا كان النص المنقول منه يعاني من خلل في أحد هذين الجانبين، فإنه

بالإمكان — وهو ما تؤكده خبرة العديد من المترجمين الممارسين — الاعتماد على الجانب الآخر لتعويض النقص؛ إذ إن المربعات البيضاء والسوداء، وإن اختلفت، فإنها تُكوّن معًا نمطًا متناظرًا قابلًا للفكّ وإعادة التعبير. وبهذا، فإن الترجمة، رغم أصل هذه الاستعارة، لن تكون في حد ذاتها خسارة.

يبقى السؤال المطروح اليوم هو: ما الأدوات التي تتيح لنا التفكير في الثقافة العامة والثقافة المتخصصة معًا، ضمن رؤية موحَّدة ومرنة في آن واحد؟ ومن المعروف أن هذا الأمر كان هو الطموح الذي وضعه **وستر** Wüster لمجال المصطلحية، في إطار «برنامج طموح للغاية لتوحيد العلوم من خلال بنية مفهومية كونية تُشكّل المصطلحية حجر الزاوية فيها» (Humbley, 1998 : 137)

فهل يُعدّ هذا النموذج الوحيد للتفكير، والأداة الوحيدة التي يمكن أن تساعدنا على الرؤية بوضوح، ضمن منظور قد يصفه **لادميرال** Ladmiral (2009: 52 على سبيل المثال) بأنه منظور إنتاجي؟ هنا يمكننا أن نذكر العلم الذي لقي رواجًا واسعًا في سبعينيات القرن الماضي، والذي لا يزال حتى اليوم مفيدًا للغاية للمترجمين، وهو المنهج النظامي (la systémique) (انظر مثلًا: de Rosnay, 1975/77 و Durand, 1998). ويقوم هذا العلم، بحسب روّاده، على تمثّل أي مجال من مجالات النشاط البشري من خلال أنماط إدراكية مشتركة، مثل: المخزون، والتدفقات، والمهل الزمنية، والخزانات، والصمّامات، والحلقات الراجعة، وغيرها. وبما أن الترجمة التقنية تقتضي التفكير في أنظمة، فإن أهمية هذا العلم تكمن في أنه يدمج مختلف مجالات المعرفة الإنسانية ضمن نسق شامل، مما يجعله قابلاً للفهم من قبل المترجمين، وقابلاً للنقل عبر التشبيه والمماثلة. إنه أداة فعّالة في تبسيط المعارف، وفي تعاملنا مع مجالات التخصص، لا بدّ لنا — في مرحلة ما — من أن نُبسّط (voir Monti et al., à paraître)، وذلك أولًا لأنفسنا. بل يمكن الجزم، في شكل فرضية جريئة، أن حجر الزاوية الذي تحدّث عنه Wüster إنما يكمن — في مرماه على الأقل — في هذا المنهج النظامي ذاته.

ثمّة مقاربة ثالثة، لا تقل أهمية، تمتاز بكونها في آنٍ معًا أكثر حداثة وأشدّ قدمًا،

إذ تستلهم فكر **ماكيافيل** Machiavel في قراءة قدّمها المؤرخ والفيلسوف الإيطالي **كارلو غينزبورغ** Carlo Ginzburg. فما المقصود بها، باختصار؟ إنها تقوم على التفكير بالنماذج الذهنية، المرتكزة إلى حالات تمثيلية تحتمل وجود التناقض، إذ يقول Ginzburg: «كلّ حالة فردية تنطوي على إمكانية التعميم، وهناك حركة ذهاب وإياب بين الجزئي والكلي» (مقابلة مع Nicolas Weil dans Le Monde des livres, 30 septembre 2022: 7). أليست هذه هي، في جوهرها، الكيفية التي ينتظم بها التفكير في الترجمة؟ ففي مجالنا، لا وجود لحقيقة مطلقة، بل هناك عدد كبير من المبادئ الجزئية، المستقاة من الخبرة، والتي تبقى، في الغالب، نسبية وظرفية. وهذا التفاعل بين القاعدة والاستثناء نجده أيضًا، مثلًا، في علم التحرير (rédactologie)[vi]، من خلال نظرية المخططات المعرفية كما عند Bertrand Labasse (2016). وهكذا، فإن عبارة "ومع ذلك "التي يستعملها Ginzburg للتخفيف من مطلق أيّ حقيقة عامة، تُقابلها، في حقل الترجمة، عبارة "الأمر يتوقف على"... (على السياق، على وضعية التواصل، على النية...)، وهي غالبًا ما تكون بداية الجواب عن أيّ سؤال ترجمي أو تنظيري. ذلك أن جوهر الأمر يظلّ في التفكير في القاعدة والاستثناء معًا — وبأفضل توازن ممكن بينهما.

ومهما يكن من أمر، فإن أدوات مثل المصطلحية، والمنهج النظامي، والقياس على الحالات، والتأطير المعرفي — وإنْ اختلفت في طبيعتها ومجالاتها — فإنها تشترك في نقطة جوهرية واحدة ألا وهي: التأكيد، كما كان الأمر دائمًا، على ضرورة السعي إلى إدراك الكلّ، مع الإقرار في الوقت ذاته بأن هذا الهدف عصيّ على التحقق، لأن العالم لم يعد كلًّا منغلقًا مكتفيًا بذاته، بل أصبح كونًا يسوده اللايقين والتحوّل المستمر؛ كونًا في حالة تمدّد وتغيّر دائم، تمامًا كما هو الحال — وإنْ على نطاق أصغر — في مهن الترجمة. وهذا ما يدعو إليه أيضًا **إدغار مورين** Edgar Morin، في نقده لأساليب التفكير التقليدية في الغرب، إذ يقول: «وفوق ذلك، فإن تغريب الفكر يُنتج لنا نوعين من القصور المعرفي: فمن جهة، يقوم نمطٌ من المعرفة على تجزئة المعارف؛ ومن جهة أخرى، على تفكيكٌ للمشكلات الجوهرية والشاملة، التي تتطلّب في حقيقتها مقاربةً عبر-متخصصة [...]» (Morin 2016: 12).

لقد بدأنا بطرح سؤال الثقافة العامة، لأننا لم نكن نعرف حقًّا كيف نجيب عنه. لكنّ الأهم هو السؤال ذاته، لأنه يُمثّل الجزء الظاهر من تساؤل أعمق وأشمل: ما الذي يمكن أن يُعيننا على العيش اليومي، مهنيًّا؟ فهل كانت هذه التأملات مقنعة؟ هل كنّا على صواب؟ ليس ذلك مؤكدًا، ولا أقلّ ما في الأمر بسبب الطابع المتشعّب والتجريبي لمقاربتنا. ولعلّ الحقيقة، في النهاية، أن الترجمة في اللغة المتخصصة لا تحتاج فعلًا إلى ثقافة عامة. ثم إنّ في برنامج الماستر الذي نُشرف على تسييره، لم يخطر ببال أحد قطّ أن يُنشئ وحدة دراسية بعنوان الترجمة العامّة — وإنْ كان هناك بالفعل مقرر بعنوان الثقافة العامة في الترجمة — وذلك ببساطة لأننا لا نعلم ما المقصود حقًّا بالترجمة العامة، ولأننا تبيّنا أنه لا توجد معارضة حقيقية بين الثقافة العامة والمعارف المتخصصة، بل ثمّة حركة متبادلة، وتداخُل، وتداول مستمرّ بينهما.

ومهما يكن من أمر، فإن كنّا قد سلكنا دربًا خاطئًا، فإنّ ذلك يعني، ضمنًا، أنه بالإمكان الاستغناء عن الثقافة العامة في ترجمة النصوص المتخصصة. وفي هذه الحال، لن نكون سوى منفّذين بارعين. أما إن كنّا نطمح فعلًا إلى التحكّم في آليات عملنا، فإن الأمر يقتضي، رغم كل شيء، إعادة إدراج الثقافة العامة، وإنْ كانت تُكتسب اليوم، وتُصان، ويُعاد استحضارها بطرق تختلف عمّا كانت عليه في الماضي. إذ هي التي تمنحنا الشرعية بصفتنا خبراء ومحاورين؛ وبها لا نعود مجرّد منفّذين، بل أصحاب سلطة على العملية برمّتها — وهو وضعٌ لا يُقابل بالتقدير ذاته، ولا تُحتسب له القيمة المادية نفسها. وبهذا، فإن هؤلاء الخبراء — الذين يُجيدون السيطرة على مسار الترجمة ينالون على ذلك مكافأة لائقة — يكتسبون أيضًا، وبالدرجة نفسها، قدرةً متزايدة على الفعل والتأثير.

ذلك أن الإشكال الجوهري المرتبط بالنفاذ إلى نوع من الثقافة العامة لا يندرج ضمن نطاق علم الترجمة فحسب — أو على الأقل لا ينحصر فيه — بل يتجاوز ذلك إلى كونه قضية مواطنة، ومسألة استقلالية — أو لنقل: فعلية وفاعلية — تفترض وجود منظومة من القيم المرجعية. وهذه القدرة على التملّك الفكري واتخاذ المسافة النقدية هي ما يتيح لنا، في مرحلة ثانية، الترجمة على نحو أفضل — حتى في لغة

التخصص. ومن ثم، فإن المسألة تتعلق بكيفية إدراكنا لذواتنا، وهو الإدراك الذي يسمح لنا، فيما بعد، بإبراز صورة الخبير والمهنيّ أمام شركائنا ومخاطبينا. ونجد أنفسنا هنا أمام جدل قديم متجذّر في السياق الفرنسي، هو الجدل حول المهنية (la professionnalisation) ، والتي كثيرًا ما أُسيء فهمها، بدعوى أنها تُبعِد الفاعل عن روح المواطنة والانفتاح على العالم. أما في مجال الترجمة، فالأمر على العكس تمامًا.

بل يمكن الجزم بأن الترجمة ذاتها — من حيث ما تفترضه من وعيٍ بالفروق بين اللغات، واختلاف الثقافات — تُشكّل، في جوهرها، مدخلًا إلى الثقافة العامة. فمن خلال هذا الوعي بالاختلاف، يمكننا حقًّا أن نُترجم بفعالية أكبر، حتى في اللغة المتخصصة. وهكذا تنتقل هذه التأملات من بُعدها السياسي إلى بعدٍ مهنيّ قيميّ، بل إلى بُعد أخلاقيّ: فلنُواصل التفكير دائمًا، سواء توفّرت لدينا الأدوات أم لم تتوفّر!

الإحالات:

1- لم يطرأ عليه سوى تغييرات طفيفة مقارنةً بالنسخة السابقة التي تعود إلى سنة 2017.

2- دون أن يُفهم من ذلك أي انتقاص من التعريف البديع الذي تقدّمه اليونسكو لمفهوم الثقافة — وهو تعريف جميل بلا شك، لكنّه، في هذا السياق أيضًا، قليل الجدوى من الناحية الإجرائية بالنظر إلى الهدف الذي يسعى إليه هذا المقال.

(https://www.bak.admin.ch/bak/fr/home/themes/definition-de-la-culture-par-l-unesco.html)

3- ورد وصف هذا المشروع، على وجه الخصوص، في هذا الموقع: https://upskillsproject.eu/ (تمّت زيارته في 1 ديسمبر 2022).

4- المصدر:

https://slator.com/the-stunning-variety-of-job-titles-in-the-language-industry/

https://upskillsproject.eu/ (تمّت زيارته في 1 ديسمبر 2022)

تعليقات المترجم:

i- يمكن التوسع في تعريفات هذه المصطلحات من هذا المصدر:
Gilster (1997) Hague & Williamson (2009).

ii- نُشير إلى أن هذا التعريف أورده **هانت** باللّغة الإنجليزية كما يلي :
"[the] ability to bring previously acquired, often culturally defined, problem-solving methods to bear on the current problem", (in Collombat 2006: 3).

iii-المكشافات السياقية : المقصود بها الألفاظ أو المؤشرات النصية التي تُحيط بالمصطلح داخل سياق معيّن وتساعد على توضيح معناه واستعماله، وتشمل الكلمات المرافقة، والتراكيب اللغوية، والأنماط الدلالية التي تبيّن طبيعة استخدام المصطلح في الخطاب.

vi-علم التحرير: المقصود به حقل معرفي يدرس المبادئ والأسس النظرية والعملية لكتابة النصوص المهنية والتقنية والإدارية، مع التركيز على وضوح المعنى، ملاءمة السياق، وتحقيق أهداف التواصل.

قائمة المراجع

CAR (N.) 2011, *The Shallows – What the Internet Is Doing to Our Brains*, New York, W.W. Norton & Company.

COLLOMBAT (I.) 2006, "General Knowledge: A Basic Translation Problem Solving Tool", *Translation Studies in the New Millenium, An International Journal of Translation and Interpreting*, volume 4. Disponible à l'adresse https://hal-univ-paris3. archives-ouvertes.fr/hal-01452326/document (consultée le 3 mars 2023).

DELEUZE (G.) & GUATTARI (F.) 1980, *Mille Plateaux*, Paris, Les éditions de Minuit.

DELISLE (J.) 2003 (édition la plus récente, 2013), *La Traduction raisonnée*, Ottawa, Les Presses de l'Université d'Ottawa.

DURAND (D.) 1998, *La Systémique*, Paris, Presses universitaires de France, collection "Que sais-je?", 8**e** édition, corrigée.

ECO (U.) 1984, *Apokalyptiker und Integrierte: Zur kritischen Kritik der Massenkultur*. Francfort, Fischer.

EMT (Master européen en traduction) 2022, *Référentiel de compétences*, disponible à l'adresse https://commission.europa.eu/document/download/b482a2c0-42df-4291-8bf8923922ddc6e1_fr?filename=emt_competence_fwk_2022_fr.pdf (consultée le 3 mars 2023).

FONTANET (M.) 2023, « L'enseignement de la traduction technique à l'heure de la post-édition », dans ce même recueil.

FROELIGER (N.) 2013, *Les Noces de l'analogique et du numérique – De la traduction pragmatique*, Paris, Les Belles lettres, collection «Traductologiques».

FROELIGER (N.) 2016, *De la paresse en traduction – pour un procès en*

réhabilitation, Revue française de langues appliquées, 2016 (I), vol. 21, pp. 23-38. Disponible à l'adresse https://www.cairn.info/revue-francaise-de-linguistique-appliquee-2016-1- page-23.htm (consultée le 2 pars 2023).

FROELIGER (N.) 2023, « Traduction technique et technicité de la traduction : organiser le dialogue entre monde professionnel et formations », dans ce même recueil.

GALISSON (R.) & COSTE (D.), sous la direction de, 1976, *Dictionnaire de didactique des langues*, Paris, Hachette.

GINZBURG (C.) 2022, *Néanmoins. Machiavel, Pascal* (traduit de l'italien par Martin Rueff), Lagrasse, Verdier, collection « Histoire ».

HUMBLEY (J.) 1998, « Le terminologue et le spécialiste de domaine », ASP, 19-22. Disponible à l'adresse https://journals.openedition.org/asp/2789 (consultée le 30 novembre 2022).

HUNT (E.) 1995, «The Role of Intelligence in Modern Society», *American Scientist*, vol. 84, n° 3, pp. 356-368.

LABASSE (B.) 2016, « Le statut des schémas cognitifs dans la production et la réception discursives », *Pratiques, — Linguistique, littérature, didactique*, n° 171-172, L'Écriture professionnelle. Disponible à l'adresse https://journals.openedition.org/ pratiques/3163 (consultée le 6 décembre 2022).

LADMIRAL (J.-R.) 2009, « Traduction et philosophie », i*n Traduction et philosophie du langage.* Actes du colloque international organisé par SEPTET (à l'initiative de Florence Lautel-Ribstein), Université de Strasbourg II: 9-10 mars 2007. Revue SEPTET (Société d'Études des Pratiques et Théories en Traduction), Paris, Éditions Anagrammes, pp. 47-70.

LEDERER (M.) 1997, « La Théorie interprétative de la traduciton: un résumé »,

Revue des lettres et de traduction, Kaslik (Liban), Université Saint-Esprit, 3, pp. 11-20.

LERAT (P.) 1997, « Approche linguistique des langues spécialisées », ASp, revue du GERAS, 15-18, pp. 1-10. Disponible à l'adresse https://journals.openedition.org/ asp/2926 (consultée le 22 octobre 2022).

MONTI (E.), della CASA (M.) & MUSINOVA (T.), sous la direction de, à paraître, *Traduire la littérature grand-public et la vulgarisation/ Translating Popular Fiction and Science*.

MORIN (E.) 2016, Écologiser l'homme : la nature du futur et le futur de la nature, Paris, Lemieux.

RIFKIN (J.) 2000, The Age of Access: The New Culture of Hypercapitalism, where All of Life is a Paid-for Experience, New York, J.P. Tarcher/Putnam.

ROSNAY (J. de) 1975/1977, Le Macroscope – Vers une vision globale, Paris, Seuil, collection « Points Essais ».

SOUBRIÉ (Th.), BIGOT (V.) & OLLIVIER (Ch) sous la direction de, 2021, Littératie numérique et didactique des langues et des cultures, LIDIL, Revue de linguistique et de didactique des langues, n° 63. Disponible à l'adresse https://journals.openedition.org/lidil/8568?lang=en (consultée le 3 mars 2023).

TAVOILLOT (P.-H.) 2007, « Qu'est-ce que la culture générale ?», Le Débat, 2007/3, n° 145, pp. 15-23. WILDE (O.) [1904] 1995, Aphorismes, traduit de l'anglais par Bernard Hoepffner, avec la collaboration de Catherine Goffaux, Paris, Mille et une nuits.

التعريف بالمؤلف:

نيكولا فروليغر أستاذ جامعي متخرج من مدرسة باريس للتراجمة والمترجمين ومتخصص في الترجمة التداولية، نشر أكثر من 80 مقالا مصنفا، ويشرف على أضخم برامج التدريب المهنية في الترجمة والتعريب.

ينتسب إلى: مخبرCLILLAC-ARP جامعة باريس 7nicolas.froeliger@u-paris.fr

ملخص المقال:

يتناول هذا المقال مسألة الترجمة التقنية أو المتخصصة من منظور مقابل: أي من مفهوم "الثقافة العامة"، وهو مفهوم شهد تطورًا موازيًا للنمو الهائل في حجم المعارف المتاحة ولتفكك المجتمعات المعاصرة. وبالتالي، أصبحت مسألة الثقافة العامة تُطرح بشكل متزايد في إطار من التدفق المستمر، لا من حيث المخزون أي: كيف نصل إلى المعلومة، بل إلى "المعلومة الصحيحة"، من أجل الترجمة بشكل فاعل في مجال التخصص؟ ومن هنا تنبثق فرضية معرفية تعيد الاعتبار لدور النسيان في عمليات الترجمة، وتُحيل إلى أنماط ذهنية مختلفة من شأنها أن توفّر خلفية إدراكية لهذه العمليات: النظامية، التي تُفهم بوصفها تتويجًا للمقاربة المصطلحية، ونظرية المخططات المعرفية، والمقاربة التفسيرية التي أعاد صياغتها Carlo Ginzburg. وكلّ من هذه الأنماط تتيح، في نهاية المطاف، إمكانية الجمع بين الثقافة العامة والاختصاص في سياق لا يسعه أن يستوعب الكلّ دفعة واحدة. وإذًا، فهل نحتاج إلى ثقافة عامة من أجل الترجمة في اللغة المتخصصة؟ الجواب نعم، وذلك لأسباب تتصل أولًا بقدرتنا على اتخاذ مسافة نقدية، وهذه المسافة تستدعي قدرًا من الاحتراف الحقيقي، بما ينطوي عليه هذا الأمر من رهانات أخلاقية، وتفسيرية، بل وحتى سياسية في عمقها.

الكلمات الدالة:

الثقافة العامة، الترجمة التقنية، الترجمة المتخصصة، النظامية، المصطلحية، الفقه التداولي، المخططات المعرفية.